



قوادح التوكل

من أهمها التفات القلب إلى الأسباب وتعلقه بغير الله تعالى. وتلك الأسباب على ثلاث درجات:

1. التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يتخلف كالطعام فتركها ضرب من الجنون.

2. ليست متيقنة بل هي ظنية كالرقى والاكْتواء؛ فالتعلق بها مضعف للتوكل وكماله وقيل إن الرقية والكي يقدحان في التوكل فكرهوهما دون غيرهما وقيل أنهما لا يقدحان في كمال التوكل ولا ينافيانه وقول ثالث بأنه يفرق بين فعل الرقية بنفسه أو بغيره وبين طلبها وهو الراجح إن شاء الله، ونأتي لمسألة حكم التدواي فالأصل فيها الجواز وأنه لا يقدح في التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرأً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح في نغس التوكل كما يقدح في الأمر والحكمة. وفيه أقوال (أي التداوي): مباح وتركه أفضل ومستحب وواجب، وقيل ما غلب على الظن نفعه مع احتمال الهلاك بعدمه فهو واجب وما غلب على الظن نفعه و لا هلاك محقق بتركه فهو أفضل وما تساوى فيه الأمران فتركه أفضل، وقد ادعى قوم أن ترك التداوي والعلاج من التوكل، وعدوا فعل التداوي قادحاً في التوكل ورد أهل العلم زعمهم هذا.

3. الموهومة: ليست معتبرة شرعاً ولا قدرأً كالتطير (وهو التشاؤم بكل مرئي ومسموع ومعلوم) وتعليق التمام والحروز فالالتفات لها خوفاً وطمعاً بالاستدلال على أمر غيبي، مناف لتحقيق التوكل وكمال التوحيد. وهناك أحاديث يثبت ظاهرها التشاؤم بأشياء



معينة كالمرأة والدار والدابة و قد جمع العلماء بينها وبين أحاديث النهي عن الطيرة. وبالنسبة للتفاؤل هل هو من الطيرة أم لا ؟ على قولين. والدرجة الثانية والثالثة جمعها حديث ابن عباس في حديث عرض الأمم على النبي صلى الله عليه وسلم وفي آخره قوله (سبقك بما عكاشة).

ومن الأشياء التي تنافي أصل التوكل:

1. التعلق بسبب لا تأثير له كالأموال والغائبين والطواغيت فيما لا يقدر عليه إلا الله.
2. اعتقاد أن السبب سواء المشروع أو المحرم فاعل بنفسه دون الله فذلك شرك أكبر.

ومما ينافي كمال التوكل الواجب:

1. التوكل في الأسباب الظاهرة العادية على أي شخص قادر حي فيما يقدر عليه.
2. الاعتماد على أمر ليس سبباً شرعاً مع اعتقاد أن الضرر والنفع بيد الله وحده كالتطير والتمائم والتولة.

وهناك الوكالة الجائزة وهي: توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُوكِل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه. وهناك أمور عدها العلماء منافية لكمال التوكل المستحب كالكي والاسترقاء. فهناك علاقة بين إثبات النفع والضرر لله تعالى من جهة، والتوكل عليه والاستعانة من جهة أخرى، فلا يُتصور توكل العبد إلا بمن يعتقد فيه الضر والنفع قال تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو



أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون). ومما ينافي التوكل والتوحيد تعليق النجاح بالأسباب فقط.

والتطير قادح في التوكل، وذلك أن المتوكل على الله يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال تعالى (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، و أما المتطير فهو في خوف وفزع دائم الاضطراب والقلق من أمور مخلوقة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا.